تقرير

خليل حرب
Khalilharb66@gmail.com

لقاء "إنساني" لا يوقف الحرب ولا دمارها
مؤتمر الأردن: إنقاذ ما يمكن إنقاذه

في موقع لا يبعد كثيرا عن فلسطين، كان لا بد من توجيه مجموعة رسائل الى اسرائيل وهي تخوض حرب الابادة ضد الفلسطينيين منذ نحو 9 شهور. لكن المفارقة ان زعماء وممثلي 75 دولة ومنظمات انسانية واغاثية دولية لم يتمكنوا من ردع اسرائيل في حربها المتطايرة شراراتها يمنة وشمالا

تحت عنوان "المؤتمر الدولي للاستجابة الانسانية الطارئة لقطاع غزة" الذي انعقد في مركز الملك الحسين بن طلال للمؤتمرات في منطقة البحر الميت من الجهة الاردنية في مقابل فلسطين وتحديدا مقابل منطقة اريحا، طرح المسؤولون الذين اجتمعوا هناك في 11 حزيران الماضي، 11 مطلبا على اسرائيل، وذلك بعيد صدور قرار من مجلس الامن يتنبى الدعوة الى وقف اطلاق النار في غزة.

رغم حجم المشاركين وثقل الدول والهيئات الحاضرة في المؤتمر، الا ان المؤتمر عكس التناقضات والاخفاقات على صعيد معالجة ملف حرب غزة الجارية منذ اكثر من 8 شهور، وتجاذبات المواقف وتعارضها، من كل الاطراف، سواء المساندة بوضوح لاسرائيل في حربها، او الساعية الى انجاز وقف سريع لاطلاق النار، او تلك التي تكتفي باتخاذ مواقف عامة.

للدلالة على هذا الاخفاق والتناقض، فان حصيلة ضحايا الهجوم الاسرائيلي المتواصل وصلت الى نحو 150 الف قتيل وجريح، وترك الاف الايتام ومبتوري الاطراف، الى جانب اجبار نحو مليون ونصف مليون انسان على النزوح مرارا. ورغم ان البيان الختامي الصادر يدعو الى "اطلاق مسار ذي مصداقية لا رجعة فيه لتنفيذ حل الدولتين، يؤدي الى قيام الدولة الفلسطينية المستقلة المتصلة جغرافيا والقابلة للحياة وذات السيادة"، فان الزعماء والمسؤولين المشاركين لم يحددوا لا الية ولا الخطوات التي سيتخذونها من اجل الوصول الى هذه الدولة التي يبدو انها موضوعة منذ عقود في "انتظار غودو".

الملك الاردني في افتتاح المؤتمر.

لهذا، فان الاهمية اليتيمة لهذا المؤتمر قد تتمثل في انه يعتبر التجمع الدولي - الاقليمي الاكبر حتى الان منذ الحرب التي بدأت في 7 تشرين الاول، بهدف الدفع في اتجاه وقف الحرب والحد من تداعياتها الانسانية والكارثية على الفلسطينيين، وتزامنه مع صدور قرار مجلس الامن الرقم 2735 الذي يطالب بوقف الحرب وادخال المساعدات الانسانية ومنع التغيير الديموغرافي في غزة.

بخلاف ذلك، فان العديد من النقاط السلبية يمكن ان تسجل في سجل المؤتمر. وليس ادل على المفارقات سوى مثلا ان وزير الخارجية الاميركي انتوني بلينكن حضره في اطار الجولة الثامنة له في المنطقة منذ بداية الحرب من دون ان يجبر - او يقنع - اسرائيل بوقف هجومها. يعني ذلك في ما يعنيه، ان واشنطن تحاول اداء دور "الوسيط" الساعي الى وقف الحرب، لكنها في الواقع لا تفرض ما يكفي من الضغوط على حليفتها اسرائيل، لاجبارها على وقف وحشية التها العسكرية.

من بين التساؤلات المطروحة ما يتعلق فعليا بكيفية "الاستجابة الانسانية الطارئة لقطاع غزة"، بينما "الوسيط" الرئيسي يكاد يلتصق بتحالفه مع اسرائيل. لم يحصل بلينكن على موافقة حكومة نتنياهو الواضحة على خطة وقف اطلاق النار التي طرحها الرئيس جو بايدن رغم انه قال ان جوهرها هو مجموعة افكار اسرائيلية، ولا على قرار مجلس الامن الرقم 2735 الذي يدعو الى وقف الحرب، ويمنع التغيير الديموغرافي لقطاع غزة ويدعو الى العمل من اجل قيام دولة فلسطينية.

لم ينل بلينكن هذه الموافقة من اسرائيل، لكنه لا يتردد في اتهام الفلسطينيين بقوله ان حماس هي من تعرقل مقترح وقف اطلاق النار. بلينكن جاء منتدبا من البيت الابيض الذي ظل يردد منذ 8 شهور ان الحل لوقف الحرب بسيط، ويتمثل في "استسلام حماس، او التعرض للقتل".

من مظاهر الاخفاق التي تطال المؤتمر، وتطرح تساؤلات حول جدواه الفعلية، انه كان في مواجهة مجموعة من الحقائق المرة والتي يشاهدها العالم بالصوت والصورة من دون ان يفلح في وقفها. فالى جانب الحصيلة البشرية الصادمة، لحق الدمار بـ60% من المباني، وبنحو 80% من المرافق التجارية، بينما تحولت مرافق المؤسسات التعليمية والصحية الى انقاض. ورغم رهان المجتمعين على وقف الحرب واعادة الاعمار، الا ان البيانات التي جرى تداولها في المؤتمر تشير الى انه حتى لو سمحت اسرائيل بدخول ما معدله 5 اضعاف مواد البناء الى غزة بعد انتهاء الحرب، فان اعادة بناء جميع المنازل المدمرة سيستغرق حتى العام 2040.

وكان المؤتمر انعقد برئاسة مشتركة بين ملك الاردن عبدالله الثاني والرئيس المصري عبدالفتاح السيسي والامين العام للامم المتحدة انطونيو غوتيريش. ومعلوم ان الاردن ومصر من بين اكثر الاطراف تاثرا باستمرار الحرب وتداعياتها المحتملة. القاهرة ترى تهديدا لامنها القومي مما يجري على حدودها مع غزة، بينما تتخوف عمان من نكبة جديدة تحاول اسرائيل فرضها وتقود الى تهجير مئات الاف الفلسطينيين الى الاردن.

من هذا المنظار، يمكن فهم طبيعة الموقف الذي اتخذه السيسي الذي دعا الى تطبيق 4 اولويات رئيسية: تنفيذ قرارات مجلس الامن حول غزة، والزام اسرائيل بانهاء الحصار والتوقف عن استخدام سلاح التجويع، وتوفير الدعم اللازم لوكالة "الاونروا".

كما يمكن فهم تصريحات الملك عبدالله الذي انتقد الهجوم على رفح وبما تسبب به بتهجير ما يقارب المليون من سكان غزة قسرا مرة اخرى، في حين انه "لا يوجد لهم مكان آمن". ولأن المخاوف من التهجير هي مثار القلق الاساسي للاردن، فان الملك حذر من "شبح المجاعة" القائم"، واكد على ان "الممر البري هو الطريقة الاكثر فاعلية لتدفق المساعدات الى غزة" الى النازحين.

بهذا المعنى، بدا مؤتمر البحر البيت منبرا للقلق، بما في ذلك لبنان، وليس للافعال. وحتى الـ404 ملايين دولار التي اعلن عنها بلينكن لدعم الحاجة الانسانية لغزة، بدت كقطرة لا قيمة لها مقارنة بنحو 15 مليار دولار من المساعدت التي قدمتها حكومته لاسرائيل خلال الشهور القليلة الماضية، ناهيك بمئات الرحلات الجوية والبحرية التي نقلت الاف الاطنان من الاسلحة والعتاد العسكري للجيش الاسرائيلي بما مكنه من المضي قدما بهجومه التدميري اكثر من 250 يوما.

لكن المؤتمر بدا ايضا في مكان ما محاولة لاحراج اسرائيل وزيادة الضغط عليها، اذ شكل اول جهد دولي - اقليمي على هذا المستوى منذ بداية الحرب في تشرين الاول الماضي، وجاء مترافقا مع تبني مجلس الامن ◄

من مؤتمر البحر الميت.

من البيان الختامي

• ادانة للخسائر الفادحة في صفوف المدنيين والبنى التحتية، واستهداف موظفي الامم المتحدة بمن فيهم من وكالة "الاونروا"، وعدم وصول المساعدات الانسانية، وانتهاك القانون الدولي والانساني.

• رفض النقل والتهجير القسري الفردي او الجماعي للمدنيين داخل الاراضي الفلسطينية المحتلة، في انتهاك للقانون الدولي.

• تكثيف الجهود الديبلوماسية لانهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي الفلسطينية المحتلة، واطلاق مسار ذي مصداقية لا رجعة فيه لتنفيذ حل الدولتين، يؤدي الى قيام الدولة الفلسطينية المستقلة المتصلة جغرافيا والقابلة للحياة وذات السيادة، بما يتماشى مع المعايير المتفق عليها على خطوط (4 حزيران 1967)، لتعيش جنبا الى جنب مع اسرائيل في امن وسلام، على اساس قرارات (الامم المتحدة) ذات الصلة والاتفاقيات السابقة والقانون الدولي.

المشاركون.

◄ الدعوة الى وقف اطلاق النار الذي تتهرب منه اسرائيل حتى الان.

التساؤل الاخر الذي يمكن ان يؤخذ ضد المؤتمر انه ارتدى، بعد كل هذه المدة من المذبحة، طابعا انسانيا بدلا من الانكباب والتركيز الجدي على وقف الحرب نفسها مهما كان يحتم الجهود التي ستبذل. فحتى الرئيس الفلسطيني محمود عباس، الذي ينتقده العديد من الفلسطينيين لأن حكومته لا تتحرك بما يكفي وبما يجاري مستوى التحدي والخطر على الوجود الفلسطيني، بدا اكثر اهتماما بمستقبل السلطة ونفوذها، من اهتمامه بحمام الدم والدمار الحاصل، بل ان الاعتقاد السائد ان ما يسمى "التنسيق الامني" بين السلطة والاحتلال، لا يزال مستمرا. وفي كلمته امام المؤتمر، ركز عباس، مثلما فعل في الايام الاولى التي تلت "طوفان الاقصى" على مستقبل سلطته، حيث اكد استعدادها "لاستلام مهامها في قطاع غزة مع المعابر". بطبيعة الحال، لم تفته المطالبة بانسحاب القوات الاسرائيلية بما يمهد لقيام الدولة الفلسطينية.

من ابرز ما جاء في كلمة لبنان التي القاها الرئيس نجيب ميقاتي:

• نختبر في لبنان نهج التدمير الذي تتبعه اسرائيل والذي لا سابق له في التاريخ.
• نناشد دول العالم التدخل بكل قوة لوقف ما يحصل بعد 75 عاما من تجاهل حقوق الفلسطينيين.
• نرحب بقرار مجلس الامن الرقم 2735 كخطوة اولى، ولو متواضعة، نحو الاستقرار.
• لبنان مستعد لاغاثة مصابي غزة، خاصة الاطفال، في مستشفياته ومؤازرتهم تعبيرا عن تضامنه معهم، والمساعدة في تجهيز كوادر طبية وتاهيلها للتعويض عن قتل اسرائيل لمئات العاملين في القطاع الصحي
• الاضرار في لبنان هائلة في المرافق التعليمية والمنشآت الصحية والتنموية والزراعية والثروة الحيوانية والزراعية.
• الجنوب واهله في نكبة حقيقية لا وصف لها.
• كونوا كما كنتم دائما، مع بلدكم الثاني لبنان".

الاونروا

منح الملك الاردني عبدالله الثاني وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (اونروا) وسام "الاستقلال من الدرجة الاولى" تقديرا لدورها في تقديم المساعدات الانسانية ورعاية اللاجئين الفلسطينيين وتوفير الخدمات الاساسية لهم.